استظل تحتها
وانعطفت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم حين
وورد ذلك ابن
العصمة وورد ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها
عن اخيه من الرضاعة واشار غير واحد الي تظليل الغمام له صلي الله
عليه وسلم قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا للنبوة وانه انقطع بعد
النبوة ومما يدل علي انقطاعه ان الصديق رضي الله عنه اظله
صلي الله عليه وسلم حين قدم المدينة في الهجرة لما اصابته
الشمس فظلل عليه بردايه وصح انه صلي الله عليه وسلم ظلل عليه
بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل به وهو بالجعرانة وانهم كانوا في
اسفارهم اذا اتوا علي شجرة ظليلة تركوها له صلي الله عليه
وسلم كما ذكره ابن حجر في شرح الهمزية عند قوله واتاها ان
الغمامه والسرح اظلته منهما افياء ثم قال عند قوله فاذا ما ضحي
محي نوره الظل وقد اثبت الظلال الضحا مهد اللدخول
قوله وكان الغمامة استودعته من اظلت من ظله الدففاء
ولما ورد علي ظاهر ما قرره من ان نوره يمحو كل ظل ما سبق
انه الغمامة كانت تظله بان يقال كيف يمحو نوره الظل
والغمامة اظلته فلم يمح نوره ظل الغمامه ولم احتاج اليه
مع انه الضياء الاعظم من ضياء الشمس فلا تؤثر فيه اشار
الي جواب ذلك لكن بما تقصر عنه عبارته ببادي الراي
فقال فبسبب محو نوره الظل الحسي علي ما مر صلي الله
عليه وسلم صار هو الظل المعنوي علي جميع اتباعه حتي كان
الغمامه لما اظلته قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا لما سيصير اليه
امره اعلمته بانها استودعته الامه باسرها لكن اصحابه بلا
واسطة وهم الدففا ومن بعدهم بواسطه استمداد الاولين
من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين
بواسطه من اي الذين اظلت هم من بعد ظله الاعظم الدففاء

جمع

جمع داف كعلما جمع عالم وهم جيوشه سمي الجيوش بذلك لانهم
يدفون نحو العدد اي يسيرون اليه لدفعه واستيصاله وحاصل
الجواب ان ذلك التظليل الذي كان قبل النبوة لحكمتين احداهما
الارهاص كما تقدم ثانيهما اعلامه صلي الله عليه وسلم بما سيؤول
اليه امره من ان الله تعالي سيجعل له امة اكثر الامم وانهم قرون
متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذين قبلهم
وان الكل مستمدون وممدون من ظله فسائر القرون مستمدة
من اصحابه واصحابه مستمدون وممدون من ظله وح فلا تنافي
بين محو نوره الظل وبقا الظل مع نوره عند تظليل الغمامه
له لان المحو هو الاصل المستمر والبقا انما كان علي خلاف
الاصل للحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص والثانيه الاعلام
له بعموم ظله المعنوي علي الامه من اولهم الي آخرهم فتامل
ذلك فانه مهم بل انغلق معني هذا البيت علي الشارح فقال
انه وجد هذا البيت في بعض نسخه وانه غير مفهوم المعني وسبب
انغلاقه عليه جعله الضمير المفعول في استودعته للظل لا يقال
بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعني لكن ان جعلنا الدففا
الطيور يكون في البيت ح التلميح الي قصة هي ان الطيور كانت
تظلل الانبيا قبله كداود وسليمان بل بني اسرائيل كما قال
وظللنا عليهم فح فكان يقول الغمامة لما اظلته استودعت الظل
الانبيا الذين اظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا المعني
لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف فوزن
دففا فعلا وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف ذكر
عاقل بشروط اخر ولما دل علي سجية حمد او ذم مبشر وط
كشجاع وشجعا وصالح وصلحا وشاعر وشعرا وجاهل وجهلا
فعلم انه لا يصح حمله علي الطيور اصلا لانه انما يكون جمعا لصفه

Copyright © King Saud University